# عُصَارَةُ الكَلَامِ

## الحلقة الأولى

## (١)

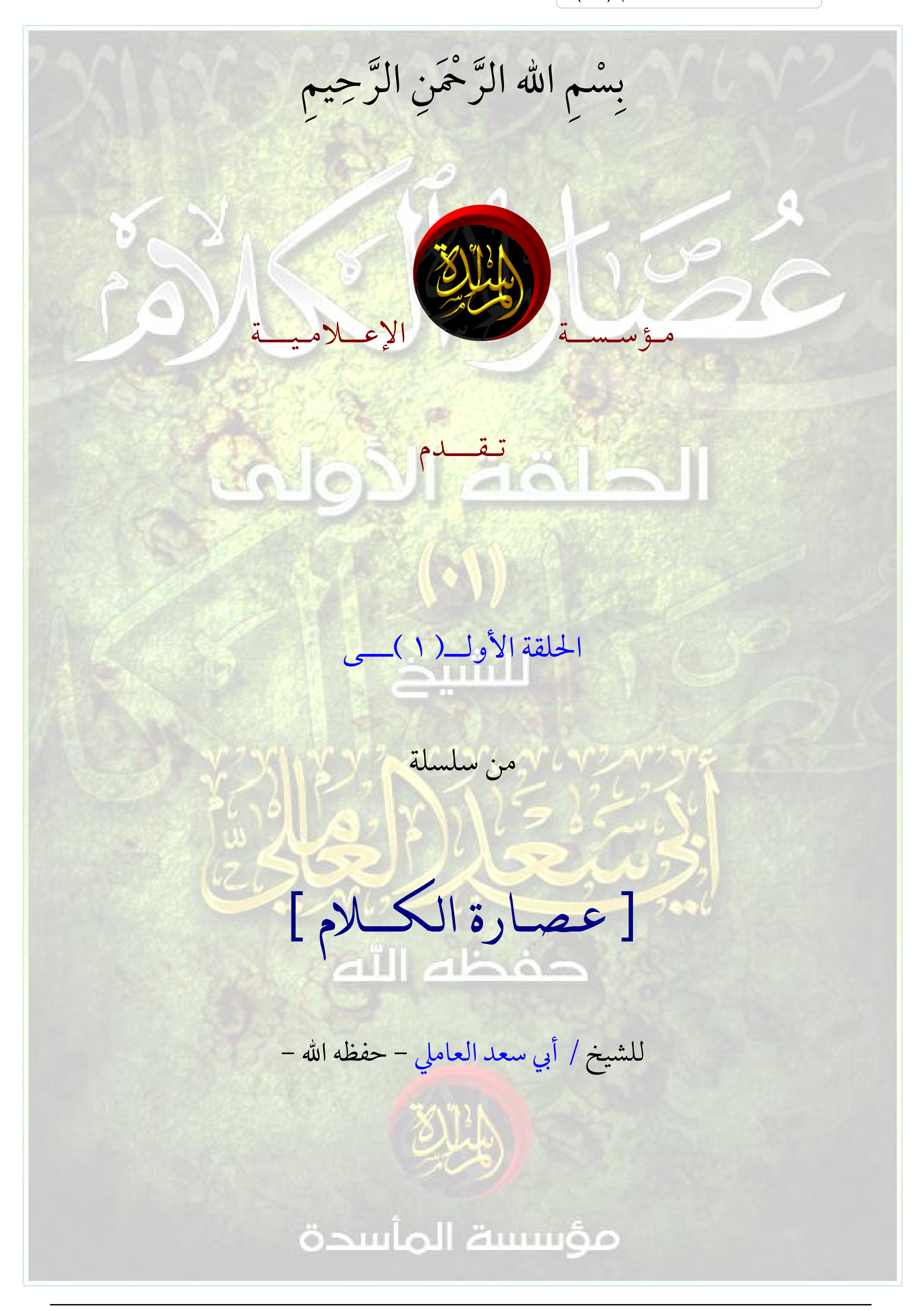
للشيخ

## أبي سعد العاملي

حفظه الله




مؤسسة المأسدة


بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مـؤسـســة
الإعــلامـيــة
تـقــدم
الحلقة الأولـــى ( ١ )
من سلسلة
[ عـصـارة الـكـــلام ]
للشيخ / أبي سعد العاملي – حفظه الله –
مؤسسة المأسدة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

فهذه باقة من كلمات خرجت من قلب محب لله ولرسوله وللمؤمنين ، قلب يعتصر دماً ألماً على ما آلت حال الأمـة وشـوقاً إلى غد إسلامي مشرق ينسينا ظلم الظالمين وظلام قوانينهم الجائرة، انتقيتها مـن مجموعـة مقـالات وفَّـق الله إخراجهـا في مناسبات وأوقات مختلفة من عمر هذه المرحلة الحرجة التي تعيشها أمتنا، والتي تتسم أساساً بالغربة والصبر علـى المحـن، وتحاول جاهدة أن تشق طريقاً نحو كسر القيود من أجل بناء غد أفضل يُعز فيه أهل طاعـة الله ويُـذل فيـه أهـل معـصيته، سميت هذه الكلمات " عصارة الكلام "، لعلها تلامس قلـوب المخلـصين فتـشحذ هممهـم وتقـوي عـزائمهم ليلتحقـوا بالصفوف الأولى ويركبوا سفينة التغيير، كل على قدر طاقته، وكل ميسر لما خُلق له.

١ – إيماناً واستقامة

بسم الله الرحمن الرحيم والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمـة للعـالمين وعـلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، ثم أما بعد

فإن مفهوم الإيمان في ديننا أشمل وأوسع مما هو شائع لدى عامة المسلمين بل حتى لدى بعض خاصتهم، حيث أنه يشتمل على جانب نظري اعتقادي وجانب عملي تطبيقي، فهو مفهوم السلف الـصالح: اعتقـاد وقـول وعمـل ، يزيـد ويـنقص، فزيادته ونقصانه مرتبطان بالعمل مباشرة (يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي)، فلا معنى لإيمان بلا عمل كما أنـه لا معنـى ولا قيمة لعمل بلا إخلاص لله ومتابعة للسنة.

*****

نحن نريد إيماناً أشبه بإيمان العجائز في ظاهره، بحيث لا يتزعزع المرء عن ثباته، ويزداد مع الابتلاء والمحن تجذراً وترسيخاً في القلب، ولكنه يتميز عن إيمان العجائز في جوهره، بحيث يكون سليماً وموافقاً لإيمان السلف الصالح، بعيداً عن البـدع والانحرافات التي نجدها لدى عجائزنا بسبب الجهل الموروث.

*****

فالاستقامة درجة أعلى من درجة الإيمان، لأنها تطالب صاحبها أن يكون دائم الطاعة والاتباع، لما في ذلك من مخالفة للهوى والأعراف والقوانين، وما يتبع ذلك من حرمان وأذى وفوات لمصالح مادية عديدة، وهو أمر قاس على النفس، يحتاج صاحبها إلى امتلاك إرادة قوية، وتوفيق من الله وتسديد.

*****

ولاشك أن الاستقامة تحتاج إلى عزيمة كبرى وصبر واسع وتضحية كبيرة، لأنها ستسبب لصاحبها اضطهاداً وخسائر ومصاعب، والنفس البشرية متعودة – بطبعها – على اليسير من الأمور، كما أنها تتضايق من طول الأمد، وتودُّ لو تبلغ المراد في لحظات، فنجدها تلجأ إلى سلك الطرق الملتوية، والابتعاد عن الصراط المستقيم شيئاً فشيئاً حتى تسقط في المحظور.

---

٢– انتفاش الباطل : سحابة صيف

وانتفاش الباطل وغلبته يعتبر من أكبر العوائق التي تثبط عزائم الناس عن القيام والنهوض لنصرة الحق، فالطغاة يتمادون في البطش والتكبر والإفساد في الأرض بلا حدود، من أجل تكريس هذا الإحساس في نفوس الناس وفي الواقع الفعلي. ومع مرور الزمن يظن هؤلاء الطغاة – في قرارات أنفسهم – أنهم على الحق، وأن جرائمهم هذه إنما هي تطهير الأرض من الفساد وتحقيق الأمن للمواطن الصالح – حسب زعمهم – فيتحول المؤمنون المجاهدون الصادقون فتنة للذين كفروا، وفتنة في أعين الجماهير الغافلة.

*****

والشرطان اللازمان هما الإيمان والصبر، إيمان بالنصر وبوعد الله عز وجل بتحقيق هذا النصر، ثم الصبر على تبعات الطريق وعلى كل التضحيات والجراحات التي يتطلبها هذا النصر.

*****

وأسمى هذه الأهداف وأجلها هي عبادة الله وعمارة الأرض بالحق، ولن يتحقق هـذا إلا بـالانتماء إلى هـذه القلـة المؤمنـة الصابرة أو على الأقل بأن نكون من أنصارها، فنسعى إلى تصفية الأجواء من الفساد وتطهير الأرض من كل شر ومن كـل باطل، وحينما تكون لدينا هذه العزيمة الجبارة ونتعامل مع هذا الدين العظيم بهذه الطريقة، فعندئذ سيكون الباطل بالفعل مجرد سحابة صيف لا تلبث أن تزول لتحل محله شمس الحق التي لن تغيب.

---

٣- أدخلوا عليهم الباب ... فإنكم غالبون

فإنه مما لا شك فيه أن الحرب سجال ، يوم لنا ويوم علينا، وهي سنة الله تعالى في التدافع بـين النـاس، بـصرف النظـر عـن قرب هذا الطرف من الحق أو بعده عنه، لأن لله تعالى حكم كثيرة في صرف النصر وتعطيله عن فئـة مـن البـشر حتـى وإن وفّرت شروط النصر كاملة ، كما أنه سبحانه وتعالى قد يمنح النصر لأصـحاب الباطـل – لحـين – ليبـتلي أصـحاب الحـق وينظر ماذا يعملون ، وهذه الهزيمة في حد ذاتها منحة في صورة محنـة، يمنحهـا الله لعبـاده ليراجعـوا أنفـسهم ويـصححوا مسارهم فيستحقوا مدد الله وعونه، ويحافظوا على النصر الذي أحرزوه.

*****

ومن واجبنا أيضاً ترتيب الأعداء حسب أهميتهم وخطورتهم على الدعوة ، حيث ينبغي أن نستفيد من التجـارب الـسابقة لمن سبقنا من المؤمنين وهم يواجهون هؤلاء الأعداء ، لكي لا نهدر طاقات في معارك هامشية أو مـع أعـداء مـن الدرجـة الثانية أو الثالثة، فنغض الطرف عن رأس الكفر ورأس الحربة الذي يمد هؤلاء بعناصر البقاء والقوة.

*****

ونحن نرى كيف دخلوا علينا الأبواب من كل حدب وصوب، لكي يركِّعوننا لإراداتهم ويفرضوا علينا دينهم ويمتصوا ثرواتنا ويفسدوا أبناءنا ونساءنا، ولا يتورعون عن إعلان ذلك جهاراً نهاراً، تحت غطاء محاربة "الإرهاب الإسلامي"، الذي يعني عندنا الجهاد في سبيل الله، إما دفاعاً عن أعراضنا وديننا وأموالنا أي جهاد الدفع، أو طلباً لهؤلاء الأعداء في عقر ديارهم لنشر الدعوة وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده وهو جهاد الطلب.

****

إن أهم سمة تتميز بها هذه الجموع المباركة، التي تواجه أهل الباطل في كل مكان، هي الإقدام ونبذ الخوف من العدو، وميدان الدعوة لا يقل أهمية عن بقية ميادين الصراع الأخرى، بل إنه الميدان الأهم والمنطلق الأساسي لعملية الجهاد، إذ كيف يمكن البدء في عملية الجهاد بدون جنود وبدون إعداد وتربية، وهل ميدان الدعوة غير هذا وذاك ؟!

إننا مطالبون أكثر من أي وقت مضى، بالمضي قدماً في عملية الإقدام، واقتحام الصعاب وكسر كل القيود الوهمية والحقيقية، ولعلها بداية انقلاب صورة الصراع بيننا وبين أعدائنا ، حيث سرنا في مواقع الهجوم والاقتحام بدلاً من مواقع الدفاع والتهيب ، وصار العدو يحسب لنا ألف حساب ، ويترقب ضرباتنا في كل حين، ولقد بدأت بحمد الله ولن تقف حتى تحقق أهدافها كاملة.

****

ومن بين ثمار هذا النصر العظيم هو سقوط هيبة العدو في نفوس المسلمين وغير المسلمين، وتبين للناس أجمعين أن هذا العدو لا يساوي شيئاً حتى في الموازين المادية بالرغم من كثرة عتاده وسلاحه ، وبأن الشعوب التي تمتلك الإرادة وتستعد للتضحية بإمكانها أن تقهر هذا العدو المتغطرس وتغلبه ، فما بالك إذا كان هذا الشعب مسلماً ومتوكلاً على الله ومحققاً لشروط النصر من إعداد وتنظيم وانضباط ؟!

****

ولنضع نصب أعيننا أن نصر الله آت لا محالة، وبأن الغلبة لعباده المؤمنين، مهما بدا لنا العـدو قويـاً وجبـاراً، فـلا يلبـث أن يظهر على حقيقته في ساحات المعارك ، وحقيقته أنه ضعيف وجبان ، يستمد قوته من ضـعفنا وتهيبنـا وهيبتنـا لـه، ولكـن حينما يجد أمامه من لا يخاف إلا الله ويسارع إلى الشهادة ، فإنه يتحول إلى أرنب ويبدأ في عملية التراجع للخروج من المأزق الذي سقط فيه ، وغالباً ما يكون هذا بفتح معارك وجبهات جديـدة ليـستنزف نفـسه أكثـر ، ويخـرب بيتـه بيـده وبأيـدي المؤمنين.

٤- وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم

ولأجل هذه الغاية العظمى بعث الله الرسل واستخلف أمماً وسخَّر لها ما في السماوات وما في الأرض، وهو دليـل عـلى أن لا شيء أعظم قيمة عند الله من هذه الغاية، فحق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، فهو لا يرضى لعباده الكفر، وهو أغنى الشركاء عن الشرك، ومن هنا تأتي عملية الاستبدال – التي تعني في الصميم – غضب الله وانتقامه من الفرد أو الجماعة أو الأمة التي أشركت مع الله، ليحل محلهم فرد أو جماعة أو أمة أخرى لتحقيق حق الله عليهم.

*****

فالإمهال وسيلة ذات حدين، يمكن أن تكون نعمة على البعض ونقمة على البعض الآخر، ومن ينظر إلى واقع أمتنـا اليـوم يجد أن الكثير من المسلمين داخلون في هذه الحالة، فبعد أن نكثوا عهـدهم مـع الله وابتعـدوا عـن الـنهج القـويم، سـاروا يهتمون بمتاع الحياة الدنيا، غير مبالين بواجباتهم الدينية، من نصرة لدين الله ولإخوانهم المستضعفين والمجاهـدين في كـل مكان، بل منهم من تحول إلى أنصار للباطل بسبب خوفهم من ذهاب ما هم فيه من متاع دنيوي عابر، وبهـذا يكونـون قـد سقطوا في امتحان الإمهال الرباني ولم ينفعهم في شيء، وتحول بالتالي إلى نقمة سرعان ما يسبقها عذاب الله وغضبه.

*****

ومن أهم المحطات التي تمر بها الأمم قبل عملية الاستبدال، هـي محطـة التيـه، وهـي مـن أخطـر المراحـل وأقساها عـلى النفوس، ومن أهم المراحل وأنفعها للدعوة ولأصـحاب الحـق. ذلـك أنهـا تعتـبر مرحلـة تـصفية للـصفوف وتمحـيص للنفوس، وفي هذا منافع عديدة ونفيسة للتجمعات الإيمانية.

*****

لقد شاء الله عز وجل لهذه الأمة أن تكون خاتمة الأمم وشاهدة عليها ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُـهَدَاءَ عَـلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ [البقرة-١٤٣]، فعملية استبدالها غير واردة البتة، بخلاف عملية التيـه. فبعـد أن امتنعت نسبة كبيرة من الأمة عن أداء واجباتها، وتركت الجهاد في سبيل الله، سلط الله عليها ذلاً لا يمكن أن يُرفع عنها إلا بامتلاك أسباب القوة والمنعة وخوض غمار الجهاد مع الأعداء، فبالإضافة إلى هذا، أصـبحت هـذه الفئـات تائهـة في هـذه الحياة، لا تجد فرجاً ولا مخرجاً.

*****

والردة عن الدين تتجسد أساساً في ترك الجهاد في سبيل الله، لأن الجهاد هو ذروة سنام هذا الدين، والوسـيلة التـي تحمـي بيضته، وقد اتضح هذا في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

«إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهـاد، سـلط الله علـيكم ذلاً لا ينزعـه عـنكم حتـى تراجعوا دينكم» وفي رواية "حتى ترجعوا إلى دينكم" وكأن الرجوع إلى الدين يكون بالرجوع إلى الجهاد في سبيل الله.

*****

لقد انتهى عهد التيه، وحلَّ محله عهد الهدى والرشاد، وصارت عصابات من المسلمين – رغم قلتهم – مـن أبـصر النـاس وأهداها على ظهر البسيطة ، فأخذت راية الجهاد عالية خفاقة ، تبدد الظلام وتكـسر الحـدود والقيـود ، وتهـدم الـسدود، وتحرر النفوس، وتهدي الملايين من حيارى المسلمين ، بفضل هذه الاستماتة في خدمة الغاية الكبرى ، عبادة الله عـز وجـل حق عبادته ، وطلب الشهادة ، ففتح الله على أيديها قلوباً غلفاً وعيوناً عمياء وآذانا صماء، وصارت تقود هذه الجموع إلى بر

الأمان ، وصرنا نسمع " اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون" بدلاً من قول جيل التيه والتقاعس ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة-٢٤].

---

٥- من يعلق الجرس؟

هذه الفلسفة سهلة، لا تكلف أصحابها أي خسارة، وهي أشبه بفلسفة الفأر الذكي الذي اقترح على إخوانه - من أجل التخلص من شر القط الذي يتهددهم - أن يعلقوا الجرس في عنقه حتى يعلموا بوجوده في أية لحظة، وإن كان القياس هنا مع الفارق، حيث أن المطلوب اليوم - تجاه هذا الواقع - ليس تعليق الأجراس في أعناق هؤلاء الطغاة، بل المطلوب هو ضرب هذه الأعناق لكي يتخلص منها العباد والبلاد.

*****

من هنا كانت الضرورة لإيجاد أساليب جديدة لاستنهاض هذه الهمم أكثر وتوجيهها لتتعلم لغة الضرب وعدم الاكتفاء بلغة التنظير السلبية، وتضييع العمر والأجر في تسطير المشاريع النظرية على أوراق الوهم والسراب.

*****

نحن بحاجة إلى هذه الروح الاستشهادية التي تهزم الجيوش الجرارة، وتقذف في قلوب الأعداء الرعب، وهذا هو مكمن القوة ورأس الحربة التي يخشى منها العدو، ويحاول منذ أربعة عشر قرناً محوها وتغييبها من عقول أبناء الأمة، يجب علينا أن نحافظ على هذه البذرة الطيبة ونسقيها بدمائنا وعرقنا، حتى تصبح الحبة مائة حبة، والمائة تصبح ألفاً، والألف إثنا عشر ألفاً.

*****

وهاهي أخيراً – وليس آخراً – خلايا الجهاد والقتال قد انبعثت في كل بلد وفي كل موطن توجد فيه فتنة، وتوجد فيه حكومة ردة، نهضت لتترجم لغة التنظير والكلام إلى لغة العمل والتنفيذ، ولِتُحَوِّل أحلام وأماني الأمس إلى واقع فعلي وإلى حقيقة ناصعة، وبالرغم من قلة النصير وبُعْدِ الشُّقَّة وكثرة الأعداء، فإن القطار قد تحرك ، ولن يوقفه – بإذن الله – كيد الكائدين ولا فلسفة القاعدين ولا تثبيط الشياطين، إنه ماضٍ إلى وجهته النهائية، لن ينحرف ولن يحدو عن الطريق، وعلينا أن ننضم إليه ونكثّر سواده، ولا خير فيمن تخلف عن الركب بل لا خير فيمن لا يحض الناس على الركوب.

إن المرض الذي تعاني منه الأمة هو التقاعس واللامبالاة، وهو مرض خطير ينخر جسد الأمة ويجعلها عرضة للسقوط في مخالب الأعداء ولقمة سائغة في أفواههم، وهو حينما يُضاف إلى مرض الوهن الذي حذّرنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنه يكبل النفوس ويمنعها عن مجرد التفكير فضلاً عن الحركة، وما لم تتنبه الأمة لهذا المرض العضال وتسارع إلى كشفه وتداويه، فإنه سيؤدي بالأمة إلى الدمار والموت المحقق وبالأجيال القادمة إلى التيه والضياع.

****

فهدف المرحلة الراهنة هو محاولة زرع تلك الروح الجديدة – القديمة في نفوس المسلمين، وتعليمهم لغة الضرب وعدم الركون إلى لغة التنظير والركون الجامد اللا مسؤول من وراء جدران الراحة والترف والبذخ الفكري والجسدي، ولكن هذا يتوقف أولاً وأخيراً على مدى تجسيدنا – نحن – لهذه الموازين والقيم في ساحة العمل والحركة بهذا الدين، ومدى حبنا وشوقنا للشهادة في سبيل الله، ومدى تسابقنا إلى إرضاء الله عز وجل وحده، ومدى تطلعنا إلى وجهه الكريم في أعلى عليين.

---

٦- حق القوة أم قوة الحق ؟

فعلى ضوء ما سبق، هناك تساؤل يطرح نفسه بإلحاح وهو: هل المطلوب امتلاك القوة أم امتلاك الحق أو كلاهما معاً؟ بعبارة أخرى: هل يجب أن نؤمن بحق القوة أم بقوة الحق أم بكلا المنطقين؟

*****

إن الله عز وجل يطلب من عباده وهم أصحاب الحق، أن يمتلكوا القوة ويكونوا على استعداد دائم لمجابهـة أهـل الباطـل وإرهابهم حتى لا يتجرأوا على مهاجمتهم والاستعلاء في الأرض بغير الحـق، يقـول سـبحانه وتعـالى: ﴿ وَأَعِـدُّوا لَهُـمْ مَـا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال-٦٠] ، فامتلاك القوة إلى جانب امتلاك الحق أمر ضروري للحفاظ على هذا الحق والأمن من كل الـشرور التـي تـأتي مـن الأطراف المعادية.

*****

والقرآن الكريم يذهب إلى أبعد من هذا بكثير بحيث يأمرنا أن نقاتل ونجاهد أهل الباطل ابتداءً؛ حتى لا يبقى هنـاك ثمـة موضع قدم للظلم والفساد والفتنة في هذه الأرض ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُـونَ الـدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقـرة -١٩٣] وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ [التوبة -١٢٣] ، وهذه العمليـة لكي تتم، فإنها تحتاج إلى قوة مادية، أي إلى العمل بمنطق حق القوة.

*****

ولكن نظراً لغياب منطق القوة لم يتمكن النبي صلى الله عليه وسلم من تجسيد قوة الحق ولا حتى المحافظـة أو الـدفاع عـن وجوده داخل مكة بالرغم من توفر كل تلك العوامل المساعدة سالفة الـذكر، فلجـأ الرسـول عليـه الـصلاة والـسلام إلى إرسال أصحابه إلى الحبشة في بداية الأمر ثم إلى المدينة المنورة في المرحلة الثانية والأخيرة .

*****

على ضوء ما سبق، نقول أنه على الحركة الإسلامية الجادة التي أخذت على عاتقها أمانة الدعوة إلى الله وإحيـاء هـذه الأمـة من جديد وتعبيدها لربها، يجب عليها أن تتسلح بالمنطقين سالفي الذكر في آن واحد، لكي تتمكن من بلوغ أهدافها وتحقيق غاياتها إن على المدى البعيد أو القريب، لأن الظروف الواقعية منها أو الشرعية تفرض عليها سلك مثل هذا السبيل ونهـج

هذه السياسة في العمل والتحرك، وليس من الحكمة ولا من المنطقي أن نظل نرفع شعار قوة الحق في مواجهة حق القوة الذي يرفعه أعداؤنا في هذه المعركة الأبدية بين الحق والباطل من أجل تركيعنا وإخراجنا من ديننا ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة-١٩٠]، ولنختزل منطق قوة الحق لكي نستعمله داخل المجتمع الإسلامي المنشود حيث سيخضع الجميع لهذا الحق مدفوعين بإيمانهم وتقواهم، أما اليوم فلا قيمة لمنطق الحق بدون منطق حق القوة ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف-٢١].

---

٧- أخرجوهم من حيث أخرجوكم

لا أظن أنه قد حصل إجماع لأهل الباطل في التاريخ كله، لمحاربة أهل الحق،كما حصل في هذا الزمان، وبالتحديد في السنوات الأخيرة التي تلت الهجمات المباركة التي حصلت في أمريكا أو ما اصطلح عليه بغزوتي ١١ سبتمبر .

*****

وقد جاء ذلك بعد استتباب الأمن في أفغانستان وقيام دولة الإسلام فيها وإعلان حكومة طالبان تحديها للعالم كله بتطبيق تعاليم الإسلام والاستمرار قدماً في إيواء ونصرة الفارين بدينهم، وكل الغرباء في عالمنا الإسلامي، القابضين على دينهم كالقابضين على الجمر.

*****

ولقد انتشر المجاهدون وأنصارهم وهاجروا في كل مكان، يبحثون عن مكان آمن لعبادة ربهم، ومواصلة الإعداد للجهاد في سبيل الله، فقيض الله تعالى لهم أماكن أخرى، تؤويهم واتخذوها منطلقاً لإعدادهم وجهادهم، ولن تنقطع رحمة الله عن عباده، فسبل الله كثيرة وأبواب رحمته متعددة

*****

ولقد فتح الله تعالى ساحات جديدة لهؤلاء الفتية، وهي بمثابة كهوف للإعداد والجهاد والفرار بدينهم، فكانت ساحة بلاد الرافدين من أعظم النعم وأفضل الأماكن لمزاولة ومتابعة جهادهم المبارك. ولقد ندم أعداء الله وكيف لا يندمون، وقد تحولت بلاد الرافدين إلى نار تحت أقدامهم، وقبلة جديدة لكل المجاهدين، طوروا فيها كفاءاتهم القتالية وأساليب التنظيم والعمل أكثر من أي وقت مضى. ولو كانوا يعلمون هذا لما دخلوا إلى أرض العراق أبداً، ولكن الله تعالى أراد غير ذلك ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر-٢]

*****

فما أشبه اليوم بأمس الإسلام الأول، وما أسرع تداول الأيام بين الناس، وهاهي الأمة الوسط تعيش غربتها من جديد، وهاهي أحزاب الباطل تجمع كيدها ومكرها لمواجهة هذه الفئات المجاهدة، وهاهي الآيات القرآنية تقرع آذاننا وكأنها تتنزل علينا من جديد.

*****

فأين أعداءنا من كل هذه الحدود والأدبيات في القتال، لقد عملوا بعكس هذا تماماً، حيث روّعوا النساء والأطفال والشيوخ وقتلوهم بعد أن هتكوا أعراض النساء وهدّموا المساجد على المصلين وأحرقوا المزارع والأشجار، حينما عجزوا عن مواجهة الرجال المجاهدين، فلجأوا إلى أساليب الجبناء بالرغم من تفوقهم العسكري والمادي، وذلك بالقصف الجوي عن بعد، فيسقط العشرات بل المئات من الأبرياء غدراً وقسراً.

*****

ينبغي إخراجهم من حيث أخرجوكم، أخرجوكم من دياركم بقوة السلاح وشردوكم في شعاب الجبال والصحاري والقفار أنتم وأهليكم المستضعفين، ومن بقي منكم في هذه الديار قتلوهم ودمروا عليهم بيوتهم وأحرقوا مزارعهم وأمتعتهم وقتلوا بهائمهم.

*****

هذا ما فعلته أحزاب الكفر لإخواننا في أفغانستان والشيشان وكشمير وفلسطين وأخيراً في بلاد الرافدين، أما الحكام المرتدون – الذين يعتبرون الوجه الثاني للكفار الأصليين وطابورهم الخامس في الداخل – فقد شردوا إخواننا المجاهدين وحرموهم من أهليهم وذويهم ومن حق ممارسة شعائر دينهم فضلاً عن أداء واجب الدعوة إلى الله أو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

٨- وهن العزيمة

من العيوب الفردية في الحياة الاجتماعية، "وهن العزيمة" وهو عيب فتاك للغاية، وحقيقته أن الإنسان يستمع لدعوة الحركة ويلبيها بصدق وتجرد، ويبدي لها في البداية القدر الكبير من الحماس والطاعة والانقياد، إلا أنه مع مرور الأيام يأخذ حماسه في نقص وتضعضع حتى يصل إلى درجة لا يبقى له أي اهتمام بالهدف الذي جاء لخدمته وتحقيقه، ولا يبقى له أي علاقة فعلية بالجماعة التي انضم إليها بدافع القلب والشعور أول مرة. وإن كان ذهنه ما زال متعلقاً بالجماعة وعلى جانب من الاطمئنان والقناعة بالدلائل التي بموجبها اقتنع بالانضمام إلى هذه الجماعة والتضحية في سبيل نصرة الحق. ولا يزال لسانه يلهج بالخير تجاه جماعته والنعمة التي جاءت له عن طريقها، بل ويعترف لها بالجميل ويدافع عنها في ظهر الغيب.. ولكنه مع كل هذا تجد جذوة الحماس قد انطفأت في قلبه أو كادت، وتراخت قواه العملية، علماً أنه لا مكان لسوء النية في هذا الأمر، فالنية لا زالت سليمة، وكذلك المبدأ والاقتناع بضرورة التحرك في هذا المسار، ولم يصل بعد إلى مستوى الانفصال عن الجماعة، فكل ما في الأمر هو "وهن العزيمة".

*****

فالفرد في الجماعة الإسلامية لا ينبغي أن يكون محركه الأول هو إرضاء الأشخاص، بل عليه أن يرضي الله وحده، ويقدم ما يقدمه من عمل وجهد في سبيل نصرة الحق، سواء عمل الناس أم لم يعملوا، تقدموا أم أحجموا، بذلوا أم بخلوا، أعطوا أم منعوا، حسبه في ذلك أن يرضي ربه ويواصل الطريق ولو كان وحده.

*****

ومن ثم لا ينبغي أن يؤثر فيك تراجع الآخرين أو قعودهم، وحسبك أن العمل هو الحق وأن القعود هو الباطل، والجماعة هي أولاً ارتباط بالحق قبل أن تكون ارتباطا بالأشخاص، وهذا يكفي ليدفعك إلى المزيد من العطاء ومواصلة الطريق وإن كان موحشاً بل حتى وإن كان خالياً من الأنصار.

*****

إن انتفاش الباطل وأهله لا يعدو أن يكون مرحلة من عمر هذه المعركة الأبدية بينه وبين الحق وأهله ، وهو من شأنه أن يشحذ هممنا ويقوي عزائمنا من أجل المزيد من العمل والمثابرة والصمود لتغيير معادلة الصراع القائم بيننا وبينه، ولمحاولة ترجيح كفة الحق.

ولا ينبغي أن تكون غلبة الباطل - لحين أو لسبب ضعفنا - مدعاة وسبباً لانتشار الوهن في نفوسنا، لأن الباطل مهما علا وانتشر فإنه سرعان ما سيزول لأنه قائم على فراغ ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ [الإسراء-٨١].

*****

بل إنك ترى المتقاعس يبذل جهداً في التقاط عيوب إخوانه وينقب عن بعض النقائص في جماعته، ليتخذ منها مبرراً ويقول بملء فيه: "هذا هو السبب الذي جعلني أتذمر من دعوتكم"، دون أن يترك لإخوانه فرصة لإزالة هذه الشبهات من رأسه، وقد يتحول في بعض الأحيان إلى مصدر تشويه خارج الجماعة حينما يقرر المسؤولون عزله وتهميشه ثم استبداله بغيره من الإخوة النشطين، وحينما يصل الأمر إلى هذه الدرجة فإن عملية العلاج تتعقد للغاية. وقد يتحول هذا الفرد إلى مصدر إزعاج وربما ثغرة كبيرة يدخل منها العدو ليحدث أضراراً بالجماعة.

*****

ومن هنا فإن المؤمن الذي ينتظر ما عند الله ويؤثره على ما في هذه الدنيا الفانية، لا يمكن أن تضعف عزيمته وتخفت همته، وإن أصابه بعض الضعف إلى حين، فإنه سرعان ما يستعيد عافيته ويواصل جهاده لتحقيق وعد الله تعالى في هذه الدنيا.

*****

وعليه فإن منهج التربية الصحيحة ينبغي أن يركز كثيراً على هذه النقطة، بحيث يعمل دائما على محاربة الشح في النفوس وعلى نقل الفرد من الارتباط بالدنيا وملذاتها إلى ملاحظة ما أعده الله للمؤمنين في الآخرة، ويكون هذا عن طريق تعويده على النفقة والتخفف من متاع الدنيا الزائل.

*****

ما من شك أن المؤمن في الجماعة له عهدان لا يمكن أن يخلفهما ما دام فيه عرق ينبض ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء-٣٤]، عهد مع الله تعالى بعبادته ونصرة دينه، وهو عهد في عنق كل مسلم لا يكتمل إيمان المرء دون الوفاء به، وعهد مع إخوانه بالتعاون على البر والتقوى ونصرة الدين في إطار جماعة منظمة، وفق منهج محدد موافق لشرع الله.

*****

فالعهدان ثقيلان، وكذلك تبعاتهما، ولكنهما ملزِمان ولازمان ولا يمكن أن نتملص لنتخلص منهما إلا إذا قررنا الخروج من دائرة هذا الدين، ووهن العزيمة يمكن أن يؤدي بنا إلى هذا المنحدر، فننقض العهدان، فنخسر الدنيا ونخسر الآخرة.

*****

إننا مطالبون – أكثر من أي وقت مضى – بشحذ هممنا وتقوية عزائمنا ومراجعة أخطائنا وتسوية صفوفنا للتصدي لهذه المؤامرات، ثم المرور إلى هجوم جديد على الأعداء، كما أمرنا رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام "الآن نغزوهم ولا يغزوننا"، وتلك هي قمة صور التصدي، وقمة صور العبادة.

٩- إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم

هذه النماذج الكبيرة والعظيمة، ستظل دوماً تذكرنا بواجباتنا الشرعية وتقذف في قلوبنا الأمل في تحقيق النصر والتمكين لدين الله والعزة والاستعلاء بالانتماء إلى هذه الأمة الوسط حتى وإن كنا نعيش أحلك الظروف وأصعب المراحل ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ، إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران – ١٣٩، ١٤٠].

****

فالمؤمن لابد أن يفهم بأن الأيام دول، فيوم لنا ويوم علينا، وبأن رحى الإسلام دائرة رغم كل الأحوال، وينبغي على أهل الحق أن يدوروا مع الحق حيث دار، فهذا حسبهم، والإيمان بالنصر بداية النصر، كما ينبغي أن نفقه جيداً بأن وعود الله تعالى لعباده هي في الوقت ذاته أوامر لنا، حتى نسعى لتحقيقها في الواقع، وعدم الاكتفاء بانتظار المعجزات، فالله سبحانه يؤكد على هذه الحقيقة في قوله ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة-١٤] ، لابد من الجهد البشري الذي هو الشطر الثاني لتحقيق النصر بعد معية الله عز وجل وتوفيقه الذي يمثل الشطر الأول والأهم ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران-١٢٦].

*****

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾ [الأحزاب-١٢].

وكأن التاريخ يعيد نفسه اليوم، فها هي أقول المنافقين والمرجفين وضعاف النفوس والقلوب يقولون أعظم من هذا بكثير، ويلقون باللوم على المجاهدين بسبب ما يصيبهم من بعض ذهاب الدنيا أو نزول بعض الأذى، وأغلبهم بعيد عن ساحة المعارك بآلاف الأميال، فكيف بمن يذوق مرارة البطش والأذى والظلم والقتل والتشريد وهو صابر محتسب، يشكو بثه وحزنه إلى الله، بينما نحن نزيدهم نكالاً إلى نكالهم بألسنتنا الحداد، وبقلوبنا الأشحة على الشر .

إن الذين تقاعسوا عن الجهاد وآثروا الحياة الدنيا وملذاتها على ما عند الله، والذين جبنوا على تحمل تبعات الجهاد وتبعات إيمانهم المزعوم، يريدون من المجاهدين أن يكونوا مثلهم حتى يتساووا معهم في الإثم والمعصية، فمثلهم ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر-١٦] ، ذلك لأن خروج المجاهدين إلى المعركة هو بمثابة عملية فضح وإزالة الستار عن هؤلاء المتقاعسين الجبناء، فتنكشف سوءاتهم وضعفهم وحقيقتهم المخزية أمام الناس .

*****

بالرغم مما يرون ويسمعون من جمع الناس لهم وتخويفهم من عتادهم وأسلحتهم، فهم ماضون ومستجيبون لله ولرسوله ولنداء الجهاد ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران-٢٠٠]. وموقنون لقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت-٦٩].
لا يبالون بهذه التخويفات والنداءات الشيطانية ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ [آل عمران-١٧٣]، إن الكفار قد ألبوا الأحزاب واستقدموا الجيوش وجمعوا أعتى السلاح وأفتكه، فاخشوهم، واستسلموا لهم، ودعوهم ينالوا ما أرادوا ليبقوا على حياتكم، وإذا واليتموهم فسوف يمنحونكم الجاه والسلطان فوق منحهم إياكم الأمن والأمان .

*****

وحينما يصدق المؤمن في موقفه هذا، فإن الله تعالى يسخّر سننه ويأمر جنوده بتحقيق وعده لعباده، وقد يأتي هذا بعد تمحيص وابتلاء وفتنة، حتى يكون النصر بعد ذلك ذو قيمة عند هؤلاء العبيد، فيحافظوا عليه ولا يفرطوا فيه .

*****

هذا هو الشيطان، لا يملك إلا أن يوسوس، وسلطته تكون على أوليائه وعلى كل من يغفل على حقيقته، هذا فضلاً عن تزيين الباطل للناس ووعدهم إياهم بالأماني الزائفة ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ [الإسراء-٦٤].

ومن هنا يكشفه الله تعالى لعباده المؤمنين ويوقفه عارياً لا يستره ثوب من كيده ومكره، ليعرف المؤمنون حقيقة مكره ووسوسته ثم ضعفه وهوانه ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ [النساء-٧٦]، ومن باب أولى أن يكون مكر أوليائه وكيدهم أضعف، فلا يستحقون الخوف والخشية.

*****

ومصلحة الدعوة أصبحت اليوم صنماً يُعبد من دون الله، ويُضحّى في سبيلها بالعقيدة ومبادئ الدعوة نفسها، كقولهم بأن بدء الجهاد والمواجهة مع الأعداء من شأنه أن يعطّل مسيرة الدعوة أو يؤخرها لسنوات أو سيهدم بناء سنوات من العمل أو غيرها من العبارات، وكلها تدل على جهل القوم بحقيقة هذا الدين وبحقيقة مفهوم الجهاد وأهدافه.

*****

بهذه النفوس القوية، وبهذا الإيمان الناصع ، ستتغلب على أعدائنا، وسنرد كيدهم في نحورهم، وسنهدم عليهم بيتهم العنكبوتي، وسندخل عليهم الباب وسنغزوهم قبل أن يغزوننا وبعد أن يغزوننا، فثغراتهم كثيرة، وسلاحنا أقوى وأفتك من سلاحهم، هذا فضلاً عن معية الله عز وجل ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال- ١٧].

---

١٠ - إنهم يألمون كما تألمون

ورب العزة الذي خلق النفس البشرية ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك-١٤]، يُقدِّم لهذه النفس المؤمنة الصورة الحقيقية لهذا الأذى في ميزان الله، يستصغره لكي لا يكون عائقاً في طريق المؤمن ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ ﴾ [ آل عمران-١١١]، ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران- ١٢٠]، فكل ما يستطيعه الأعداء هو إلحاق بعض الأذى المادي بالمؤمن دون المساس بعقيدته

أو تغيير مبادئه، ومن هنا ندرك أن أهم عنصر في المعركة هو العقيدة، وبأن الأذى المرهوب لا يفتُّ من عضد المؤمن شيئاً مقارنة مع الوعد المرغوب.

*****

ويقوى هذا الشعور أكثر ويزداد المؤمن إقبالاً على نصرة عقيدته والدفاع عن دينه حينما يسمع قول خالقه جل وعلا: ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُم يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُون ﴾ [النساء-١٠٤]. فالعدو يألم هو كذلك، ويخالجه نفس الشعور من الخوف وإصابته بالأذى وفقدانه لما يحرص عليه ويحبه في هذه الحياة. ولكن الفرق شاسع بين ما ينتظره هذا وما يبتغيه ذاك، فالمؤمن يبتغي نصر الله في الدنيا ليحقق عبودية الله عز وجل وتحرير العباد من كل العبوديات الباطلة، ﴿ اَلَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُم فِي الأَرضِ أَقَامُوا اَلصَّلاَةَ وَآتَوا الزَّكَاةَ، وَأَمَرُوا بِالمَعرُوفِ وَنَهَوا عَنِ المُنكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُور ﴾ [الحج-٤١]، بينما عدوه يحرص على النصر والتمكين للإفساد في الأرض والعلو فيها بغير حق ﴿ إِنَّ فِرعَونَ عَلا فِي الأَرضِ وجَعَلَ أَهلَهَا شِيَعاً يَستَضعِفُ طَائِفَةً مِنهُم يُذَبِّحُ أَبنَاءَهُم وَيَستَحيِي نِسَاءَهُم، إِنَّهُ كَانَ مِنَ اَلمُفسِدِين ﴾ [القصص-٤].

آلام جسدية من جراح وقتل من جراء الحرب الدائرة، وهي آلام مشتركة تطال المؤمنين والكفار على حد سواء وإن كانت درجاتها متفاوتة وكيفية استقبالها مختلفة. فالمؤمن يستقبل هذه الجراحات والآلام بصدر رحب ويعتبرها ابتلاء ينال عليها الأجر والثواب، ويمحو الله له بها السيئات، ويستشعر قوله تعالى: ﴿ إِن يَمسَسكُم قَرحٌ فَقَد مَسَّ القَومُ قَرحٌ مِثلُه، وَتِلكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَينَ النَّاس، وَلِيَعلَمَ اللهُ اَلَّذِينَ جَاهَدُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُم شُهَدَاء ﴾ [آل عمران-١٤٠]، كما يَعتبِر هذه الضربات الموجعة تدريباً له على تحمل تبعات الطريق، وضريبة لابد منها قبل التمكين في الأرض وإحراز أي نصر مادي، فالضربة التي لا تقصم ظهرك لا تزيده إلا قوة.

*****

آلام روحية ومعنوية تتمثل أساساً في انعدام الأمن والإحساس بالقلق والخوف الدائمين، فالمؤمنون المجاهدون يعيشون حالة من الخوف والقلق المصحوب بحالة من الترقب الدائم والحذر الشديد، وهي منحة في صورة محنة، ﴿ وَلنَبلُوَنَّكُم بِشَيءٍ مِنَ الخَوفِ وَالجُوعِ وَنَقصٍ مِنَ الأَموَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَات ﴾ [البقرة-١٥٥]، حيث يضطرون إلى البحث عن أسباب النصر والتمكين، وإحباط خطط وكيد أعدائهم

وهناك الألم الاقتصادي أو نقص الأموال والثمرات بالتعبير القرآني، حيث أن المؤمن يعتبر ذلك محنة وابتلاء وضرورة لابد من تحملها بالصبر، ما دام أن ذلك كله مجرد وسيلة يتعبد بها لله عز وجل وليست هدفاً في حد ذاتها، فالرزق مضمون بشرط تحقيق الإيمان والعبودية لله عز وجل ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ٩٦]، فالمؤمن لا يأسف أبداً على ذهاب الدنيا، ويتحرز كثيراً من مغبة السقوط في شراكها على حساب دينه وعقيدته.

*****

الألم السياسي، ويتمثل في ذهاب تلك الهالة المزيفة التي يضفيها العدو على نفسه فيبدو للآخرين على أنه الأقوى والأجدر بالاتباع ﴿ مَا أُرِيكُم إِلاَّ مَا أَرى، وَمَا أَهدِيكُم إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشّاد ﴾ [غافر-٢٩]، فتساهم هزيمته العسكرية في كسر هذه الهالة، وفقدان هذه القوة السياسية بفقدان الأتباع والظهور بمظهر الضعيف الذي لا يستطيع أن يحمي نفسه فضلاً عن حماية غيره، وهذا ألم فظيع يُضاف إلى الآلام السابقة، ومبادئ العدو لا قيمة ولا وزن لها إلا إذا تحققت على أرض الواقع بالسيف والحديد تارة وبالإغراءات المادية تارة أخرى، وإذا ما غابت أحد هاتين الوسيلتين أفل نجمه وذهبت معه هذه الهالة.

*****

أما المؤمنون فإن غياب الحق وكونه غير مُمَكَّن في الأرض، لا يفتّ من عضدهم فيجلسون للبكاء على الأطلال في وحل اليأس الهزيمة، بل يدفعهم هذا إلى المزيد من العطاء والإعداد والجهاد، يألمون بسبب غيابه، ولكن يرجون من الله ما لا يرجو أعداؤهم، يرجون تحقيق وعد الله لهم بالنصر والتمكين، ويرجون ذهاب الباطل وإزهاقه، ولكن هذا الرجاء مقرون بالعمل والتضحية والعطاء.

ولابد لهؤلاء الأنصار أن يستشعروا أهمية هذا الدور ومدى مساهمته في مسيرة الجهاد، فلا يشعروا بالخوف وليتحملوا تبعات نصرتهم من آلام وإحساس بالضيق والحصار، فهم والمجاهدون في ساحات المعارك سيان، كل واحد واقف على ثغره المناسب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وليستحضر هؤلاء الأنصار ما يرجون عند الله لتهون أمامه كل

الآلام والصعاب. ﴿ إن الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله، وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض ﴾ [الأنفال-٧٢]

*****

وليعلم الأنصار أن الذي يقعد ويتقاعس عن نصرة المجاهدين سيتألم أكثر وسيخسر أكثر مما يخسره المجاهدون، ولكن في سبيل نصرة الباطل أو – في أخف الحالات- خذلان الحق، فالتضحية والنفقة محتمة على الجميع، والآلام والآهات ستطال الجميع، فلتكن في سبيل الله، ولنجعلها في خدمة دينه ونصرة أوليائه.

---

١١- وإن تعودوا نعد

فمن المعلوم أن أعداء الله لا يتوانون في حربنا لحظة واحدة ، لمجرد أننا مسلمون ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ ﴾ [البقرة-٢١٧]، ذلك هو دأبهم ، وتلك هي سنتهم ، لا تتغير ولا تتبدل، ومن هنا وجب علينا معشر المسلمين أن نقاوم هذه الحرب ونجابهها بعقيدة المواجهة والتصدي والمقاومة. ولن يستطيع أعداؤنا النيل منا ومن ديننا إلا بمقدار ما يناله الشيطان من عقيدتنا وطمس معالم الثبات والاستقامة في النفوس .

*****

إن الأعداء ينفقون أموالهم وأوقاتهم وجهودهم في سبيل إعاقة مسيرة الدعوة إلى الله و الصد عن سبيل الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ [الأنفال-٣٦] ، وكل آمالهم أن يمنعوا المؤمنين – قيادات وجنوداً – عن ممارسة واجب الدعوة والجهاد في سبيل الله ، فتراهم يلجأون إلى إبعادهم وفصلهم عن ساحة العمل ، تارة بالسجن وتارة بالتهجير وتارة بالتقتيل ، وكلها وسائل تصب في الصد عن سبيل الله ، حينما لا تنفع وسائل الإغراء بالمال والشهرة والجاه . لكن الله سبحانه وتعالى يتكفل بحفظ هذا الدين بحفظ رجاله ،

ويدافع عن الذين آمنوا بتثبيتهم وقذف روح الاستقامة والثبات في قلوبهم ، بالرغم مما يتعرضون له من وسائل الصد عـن دينهم .

*****

فحينما يتراجع المجاهد الداعية عن مبادئه ويؤثر حياة الدعة والراحة على حياة الكدح والدعوة، فإن ذلك يكـون لـه تـأثير سلبي كبير على بقية المؤمنين، خاصة إذا كان من السابقين في الدعوة وممن لهم سمعة طيبة وسط الشباب .

*****

سوف يستمرون ويستميتون في حربنا وصدنا عن أهدافنا، ولابد من جهتنا أن نستمر في المقاومة والإصرار على المضي لتحقيق هذه الأهداف، هذه هي نقطة القوة، وهذا هو سر ورأس الأمر كله.

*****

إن تعودوا إلى سجننا من أجل فصلنا عن الناس وإيقاف مسيرتنا الدعوية، أو منعنا من الجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحريض الناس على الالتزام بدينهم وأداء واجباتهم، نعد إلى الصبر والتحمل وعدم التنازل عن مبادئنا، أو الخضوع لكم وإيقاف مسيرتنا، بل إننا سنعود إلى مزاولة الدعوة ولو في السجون، وتحريض الناس على الصدع بالحق ومقاومة الباطل وفضحه وإزالته، وسيواصل هذه المسيرة المئات بل الآلاف من أبناء الأمة، لا تعرفونهم ولم تحسبوا لهم حساباً، يبعثهم الله تعالى من حيث لا تدرون، فيكونوا حماة لهذا الدين ودعاة إلى عقيدة التوحيد والجهاد ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر-٣١].

*****

وهي حرب طويلة الأمد وعديدة الأشواط والمراحل، لا يمكن أن ينتصر المرء فيها إلا إذا كانت لديه القدرة على الثبات ومواصلة المعركة، والاستهانة بالعدو واستصغاره، والإيمان بأن الله تعالى معنا يهدينا ويثبت أقدامنا، ويقذف الرعب في قلوب أعدائنا.

*****

هذا هو الفرق بيننا وبينهم، وهذا هو سر تفوقنا عليهم في جميع الحالات، إصرار على المضي في الطريق الموحش الشائك والمليء بالعقبات والألغام مع اليقين التام بالنصر والتمكين، ومعاودة الكرة تلو الكرة، رغم الخسائر والجروح والقروح ﴿ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾ [الأنفال-١٩]، لأن الله تعالى فئة للمؤمنين الصادقين، وما أقواها وما أدومها من فئة ، ﴿ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال-١٩].

---

١٢ – ودوا لو تدهن فيدهنون

إعلم أن من علامات صحة إيمان العبد، ثباته على عقيدته وعدم التنازل عن جزء ولو بسيط منها، ليس هذا بالأمر الهين لأنه يحتاج إلى يقظة دائمة وإلى صبر واسع وتضحية كبيرة، ولكنه السبيل الوحيد الذي يجعله قدوة صالحة لغيره، من دون أن يبادر إلى دعوة الناس بلسانه، فالثبات على المبدأ له أثر بليغ على استجابة الناس والتأثير فيهم، وهذا ما يدعو إليه رب العزة في قوله تعالى ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود-١١٢]، والتي قال عنها إمام الدعاة وسيدهم صلى الله عليه وسلم: "لقد شيبتني هود وأخواتها" ويقصد في سورة هود هذه الآية الكريمة وهي آية الاستقامة والثبات.

*****

فأعداء الحق يودون لو أن المؤمنين يدهنون، خاصة في الأوقات التي تلقى فيها الدعوة استجابة وقبولاً لدى الناس، وتكون بضاعتهم الفاسدة في كساد، ويحاولون بشتى الأساليب صرف المؤمنين عن مبادئهم أو التنازل عن بعضها أو مجرد تمييعها وذلك بخلطها ببعض المبادئ الجاهلية أو البدعية، وبمجرد أن يبدأ الداعية في الانحراف، يجد أمامه ألف داع وداع

من شياطين الإنس والجن يزينون لـه هذا المسار، ويعدونه بالخير والفلاح ﴿ يَعِـدُهُمْ وَيُمَنِّـيهِمْ وَمَـا يَعِـدُهُمُ الـشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ [النساء-١٢٠].

*****

فالذين يتربصون بنا الدوائر لكي ندهن، كثيرون، وكل واحد منهم لـه مصالح مباشرة وغير مباشرة، ويحرصون أشد الحرص على أن نقع في مستنقع التنازلات والتسهيلات، حتى وإن كانت صغيرة وهينة في البداية، لكنها تكفي كمفتاح ومقدمة للمزيد من التنازل والمداهنة.

*****

الشيطان

ومن أهداف الشيطان أيضاً، أن يبعدنا عن نعمة الطاعة والإتباع ويدخلنا في دائرة المعصية والابتداع، فنستحق في نهاية المطاف مقت الله وغضبه، فنكون من أصحاب النار.

*****

الفرق المبتدعة والذين اتبعوا الشبهات

يودون لو ندهن بعدم التعرض لمذاهبهم وانحرافاتهم، وبمسايرتهم والتعاون معهم، وربما بتزكية هذه المذاهب بين الناس لتظهر في مظهر حسن ومقبول، فيدهنون وذلك بتظاهرهم بالوحدة والتنسيق والتعاون، أو بعدم الانشغال في تتبع حركات المجاهدين والدعاة المخلصين – إلى حين – خاصة بكف ألسنتهم عنهم، أو بعدم الوقوف في صف الأعداء والتعاون معهم لمحاربة أهل الحق، والاكتفاء بموقف المتفرج، لا ينصرون الحق ولا يخذلون الباطل.

*****

عوام الناس

يودون لو ندهن بعدم تتبعهم وتخفيف التركيز على دعوتهم، وغض الطرف على هفـواتهم وموافقـة أهـوائهم ثـم نـتركهم يعيشون حياتهم وفق ما تمليه عليهم هذه الأهواء، فيدهنون بقبول بعض ما ندعوهم إليه مجاملة لنا، أو في بعض المناسـبات ولساعات معدودة، فيتظاهرون بالصلاح والاستقامة لكي يرضوننا بأفواههم ويخالفون ما ندعوهم إليه بأعمالهم.

*****

الحكام المرتدون

يودون لو ندهن، فنترك دعوة التوحيد، وندعو إلى تعدد الآلهة في التشريع والحكم والاتباع، وهـذا هـو ديـن الملـك الـذي ذكره الله تعالى في كتابه ﴿ وَكَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾[يوسف-٧٦]. وهذا من شأنه أن يترك لهم المجال مناسباً للمزيد من الغي والفساد، واستعباد الناس دون حسيب ولا رقيب.

يريدوننا أن ندهن بترك عقيدة الولاء والبراء وحذفها من قـاموس دعوتنـا، فـلا نعـادي أعـداء الله بـل نـواليهم، ونـوالي قوانينهم وأعرافهم، ويُطلب منا أن نعادي المجاهدين الصادقين ونتبرأ منهم ومن مناهجهم.

يريدوننا أن ندهن بترك الجهاد في سبيل الله وحذفه من قاموس الوسائل التي ينبغي استعمالها لتحقيق الغايـات والأهـداف الشرعية، وعلى رأسها التمكين لدين الله في الأرض وتحقيق العبودية لله عز وجل بتعبيد الناس لربهم. ويريدوننا أن نسمي الجهاد إرهاباً وعنفاً ينبغي محاربته، والبراءة من كل المجاهدين وتسميتهم بالإرهابيين أو المتطرفين.

يريدوننا أن ندهن بعدم الكفر بالقوانين الوضعية الكفرية، بل بتزكيتها وتبنيها واعتبارها مرجعاً وحكـماً بيننـا وبيـنهم، في الحكم وفي كل تعاملاتنا، ونشارك معهم في سنِّها وتقنينها وتطبيقها.

في مقابل هذه المداهنة من جهتنا، يدهن هؤلاء المرتدون بأن يتركوا لنا بعض الحرية في الدعوة إلى ما يناسـب قـوانينهم ولا يتعارض معها، فندعو إلى تعدد الآلهة المدعاة، في الحكم والتشريع، بدلاً من دعوة التوحيد.

ويدهنون بمنحنا الرخصة الرسمية للمشاركة في اللعبة السياسية – إلى جانب الأحـزاب المرتـدة وبعـض الفـرق البدعيـة الضالة – للمساهمة في عملية تعطيل حكم الله وتشريع ما لم يأذن به الله والحكم بغير ما أنزل الله، وهي ثلاثية إبليسية، كـل واحدة منها تكفي للخروج من دائرة الدين ومن ملة الإسلام.

